الدرس الحادي والعشرون: توحيد الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة عبد الله بن حذافة السهمي كما ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة أنه أسرته الروم، فجاؤوا به إلى ملكهم فقال له: تَنَصَّر وأنا أُشْرِكك في مُلْكِي وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت، فقال: إذاً أقتلك، فقال: أنت وذاك، قال: فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بقدر، وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يُلْقى فيها، فرفع في البكرة ليلقى فيها، فبكى فطمع فيه ودعاه، فقال: إنما بكيتُ لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تُلقى في هذه القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله. وفي بعض الروايات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياماً، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لي، ولكن لم أكن لأشَمِّتك بي، فقال له الملِك: فقبل رأسي وأنا أُطْلِقك، فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع، قال عمر ☺ : حق على كل مسلم أن يُقَبِّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه ☻.... اهـ.

أخي الحبيب، الهواء تحسُّه الأيدي ولا تراه من أخفاه؟ النَّبت في الصحراء من أرْبَاه؟ البدر من أتمَّه وأسراه؟ النخل من شقَّ نواه؟ الجبل

من أرساه؟ الصخر من فجَّر منه المياه؟ النهر من أجراه؟ البحر من أطغاه؟ الليل من حاك دُجَاه؟ الصُّبح من أسفره وصاغ ضحاه؟ النوم من جعله وفاة؟ واليقظة منه بعثًا وحياة؟!! العقل من منحه وأعطاه؟ النحل من هداه؟ الطير في جو السماء من أمسكه ورعاه؟ في أوكاره من غذَّاه ونمَّاه؟ الجبار من يقصمه؟ المظلوم من ينصره؟ المضطَّر من يجيبه؟ الملهوف من يغيثه؟ الضال من يهديه؟ الحيران من يرشده؟ العاري من يكسوه؟ الجائع من يشبعه؟ الكسير من يجبره؟ الفقير من يغنيه؟ أنت، أنت مَنْ خلقك؟ من صوَّرك؟ من شق سمعك وبصرك؟

ستجيب ما في الكون من آياتــه ربي ::: عجب عجاب لو ترى عيناكا حمــدًا
لك الحمد العظيم لذاتك إن لم تكــن ::: وليس لواحد إلاَّكا فإنني في كل شيء
عيني تراك ::: أستبين عُلاكا

الكون كله بكائناته يسجد لله ويخضع ويذل وتبقى فئة من الناس معرضة، كل الخلائق تسجد لله رب العالمين، قال تعالى:**{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)}** [الحج:18]، فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورِضَا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وَعن عمرو بن عبسة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**"مَا تَسْتَقِلُّ الشَمْسُ فَيَبقَى شَيءٌ مِنْ خَلْقِ الله إلا سَبَّحَ اللهَ بِحَمدِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ الشَّيَاطِينِ وَأَغْبِيَاءِ بَنِي آدَمَ** -[1]، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (59).

إخوتي في الله، **الشرك شركان : شرك أكبر، وشرك أصغر .**

الشرك الأكبر: وهو أن يجعل الند شريكا لله في أنواع العبادات أو بعضها كمن يذبح لغير الله، وينذر لغير الله، ويدعو غير الله، ويستعين بغير الله ويخاف غير الله ويرجو ويستغيث بغير الله.

الشرك الأصغر: مثل الحلف بغير الله، أو في الرياء وهو أن يعمل الرجل العمل من أجل الناس حتى يثنوا عليه كمن يحسن صلاته من أجل

(1) (حسن) أخرجه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في ص.ج 5599.

الناس، ومن ينفق الأموال ويتصدق حتى يقول الناس: أنه منفق، ومن يجاهد بشجاعة ليقال: شجاع.

والإيمان بالله عز وجل: هو الإيمان بوجوده وإفراده بالربوبية والألوهية والإيمان بجميع أسمائه وصفاته، فتوحيد الربوبية أى الإيمان بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون وحده لا شريك له، وتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة كالدعاء والإنابة والاستغاثة والرجاء والخوف والذبح..إلخ، وتوحيد الأسماء والصفات أي الإيمان بأسمائه وصفاته التى جاءت في الكتاب والسنة، وطريقة أهل السنة في توحيد أسماء الله وصفاته على ثلاثة أوجه:

الأول: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فالله سبحانه وتعالى سميع، فالسمع معلوم والكيف مجهول، وكذا الله بصير، فالبصر معلوم والكيف مجهول، وهكذا لباقي الصفات، ونحن نؤمن بأن كل صفات الله الواردة في الكتاب والسنة حقيقية تليق بجلال الله ولا تماثل المخلوقين.

الثاني: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله من صفات النقص، فالله تعالى نفى عن نفسه الظلم، ومن ثم يثبت الضد فهو العدل.

الثالث: أما ما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع عليه الناس كالجسم والحيز والجهة ونحوه فنتوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفى لعدم وروده، وأما معناه إن أريد به باطل ينزه الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع عن الله قبلوه.

والعبادة التي أمر الله بها لا تسمى عبادةً إلا مع توحيد الله تعالى، فلا تصح العبادة مع الشرك، ولا يوصف أحد بأنه عبد لله تعالى إلا مع تحقيقه التوحيد، وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة، فمن عَبَد الله تعالى وأشرك معه غَيْرَه فليس عبدا لله.

فتوحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به، هو الشرط

في قبول العبادة عند الله، إضافة إلى أن العبادة لا تكون مقبولة إلا بموافقة الشرع وعلى وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى:{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة:112].

ومعنى{أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله} أي: حقق التوحيد فأخلص عبادته لله.

ومعنى{وَهُوَ مُحْسِنٌ}، أي: مُتَّبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

و عبادة الله ♣ لها ثلاثة أصول مجتمعة وهي المحبة والخوف والرجاء، فمن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن (18).

فالحب بمثابة رأس الطائر، والخوف والرجاء للمؤمن بمثابة الجناحين للطائر، فلابد أن يجتمع كل من الخوف والرجاء في قلب المؤمن حتى يحلق في سماء الإيمان، ومن المعلوم أن من كان بالله أعرف كان منه أخوف، فينبغي على المؤمن التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن، فإن الله تعالى يلوم العبد الذي لم يعظمه حق التعظيم، والله تعالى يقول:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد:4].

لذلك جمع الله بين الخوف والرجاء في سياق واحد في معرض مدحه لعباده المؤمنين، فقال:{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} [الإسراء: 57]، وقال:{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء:90].

وَعَنْ أَنَسٍ ☺ ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَرْجُو الله، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**"لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ** -[1].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(1) (حسن) أخرجه (ت هـ) وحسنه الألباني في صت 3383.